المعتزلة وأثرهم في الفكر السياسي في التاريخ الاسلامي والمعاصر

AL- Mutazila and their effect in political thought in Islamic and contemporary history

أ.م حيدر خضير مراد[1] Assist. Prof. Haider Kh. Murad

الملخص

يتمحور موضوع هذا البحث حول مدرسة المعتزلة وأثرها في الفكر السياسي في التاريخ الإسلامي والمعاصر، فقد أنتج رجال هذه المدرسة كثيراً من البحوث الكلامية التي تضم بين طياتها اراءاً وافكاراً سياسية متميزة تشكل رافداً مهماً من روافد الفكر السياسي الإسلامي، وقد عبّر رجال المعتزلة عن آرائهم في مختلف المسائل والقضايا السياسية التي كانت موضع جدل ونقاش في عصرهم، وكان لهم دور في نصيحة الخلفاء، وكانت اراؤهم وافكارهم السياسية موجودة ضمن طيات آرائهم الكلامية، والتي شكلت جانباً مهماً من جوانب الفكر السياسي في التاريخ الاسلامي والمعاصر.

الكلمات المفتاحية: المعتزلة، الفكر السياسي، العقيدة الإسلامية، الآراء الكلامية.

Abstract

The main topic of this research is about AL- Mutazila school and its impact on political thought in Islamic and contemporary history. The men of this school produced a lot of verbal research, which includes distinguished political ideas and opinions that constitute an important tributary of Islamic political thought, the AL– Mutazila men expressed their views on the various political issues that were research and discussed in their time. They played a role in the rulers' advice. Their views and political ideas were within the folds of their theology opinions Their heritage is an important source of political heritage in Islamic and contemporary history.

١- جامعة كربلاء/ مركز الدراسات الاستراتيجية.

المقدمة

لقد لعب الصراع السياسي دوراً كبيراً في تحديد المذاهب الدينية والكلامية في تاريخ الاسلام، ذلك أن معظم الفرق التي ظهرت في الاسلام يعود أصلها الى أسباب سياسية، لأن الاختلاف الذي وقع بين المسلمين في أمر الخلافة هو سبب تشتت المسلمين فرقاً وشيعاً، أذ ان الصراعات التي حدثت في عهد الخليفة عثمان بن عفان والتي انتهت باستشهاده، والحروب الداخلية التي حدثت في خلافة الامام علي ابن أبي طالب -عليه السلام-، نتج عنها ظهور عدة فرق كالخوارج والشيعة والمرجئة، وكانت هذه الفرق عبارة عن احزاب سياسية اصطبغت بصبغة دينية، أذ كل فرقة تسعى الى فرض آرائها وافكارها وان تكون لها قيادة الدولة الاسلامية، وفي خضم الصراعات العقائدية والسياسية بين الفرق الاسلامية، نشأت فرقة المعتزلة التي تعد من أهم الفرق الكلامية في تاريخ الفكر الاسلامي، والتي كان لها دور مهم في الدفاع عن العقيدة الإسلامية في مواجهة الفكر الاجنبي سلمياً خلال العصر العباسي، وقد تشكلت الرؤية السياسية عند المعتزلة استناداً الى الأصول الخمسة لمذهبهم الفكري، ويتمحور موضوع هذه الدراسة عن أثر هذه الفرقة في الفكر السياسي الاسلامي خلال التاريخ الاسلامي والمعاصر، فقد أنتج رجال مدرسة الاعتزال كثيراً من البحوث الكلامية التي تتناول عناصر مهمة في الفكر العقائدي الاسلامي والتي تمس جوانب مختلفة من المشاكل والمسائل ذات الطابع السياسي التي كانت تواجه الأمة الاسلامية خلال حقبة صدر الاسلام والتي تُعد رافداً مهماً من روافد التراث السياسي الاسلامي.

وينقسم هذا البحث على مبحثين نتناول في المبحث الأول أصل المعتزلة ونشأتهم وأهم الأسماء التي أطلقت على فرقة المعتزلة ثم نستعرض مبادئ مذهب الاعتزال واصوله ودور المعتزلة في الدفاع عن العقيدة الاسلامية، أما المبحث الثاني فنسلط فيه الضوء على أثر هذه المدرسة في الفكر السياسي خلال التاريخ الاسلامي ومراحل التاريخ الحديث والمعاصر.

واهم الصعوبات التي واجهت أعداد هذا البحث، هي تناثر المعلومات التي تقدمها المصادر عن الآراء والافكار السياسية لرجال مدرسة الاعتزال فضلاً عن قلتها، حيث ان معظم الدراسات قد ركزت على الجانب الكلامي لهم والذي ضم في طياته اراءهم وافكارهم السياسية، لذلك حاولت استنباط واستنتاج افكارهم وآرائهم السياسية والتقاط شذراتها المتفرقة هنا وهناك من خلال بحوثهم الكلامية واستدلالاتهم العقلية وجمعها وتنظيمها في هذا البحث قدر المستطاع من أجل توضيح أثر هذه الفرقة الكلامية في الفكر السياسي الاسلامي، وبالتالي خرجت هذه الدراسة بالشكل المتواضع الذي وصلت اليه والذي أتمنى ان يحظى بالقبول، وبذلك أكون قد حققت بعض ما أصبوا اليه والله من وراء القصد.

واهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الاشعري (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) وكتابي شرح الأصول الخمسة والمغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت٤١٥هـ/١٠٢٤ م) وكتاب المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية لأحمد شوقي العمرجي وكتاب الفكر السياسي عند المعتزلة لنجاح محسن وغيرها من المصادر والمراجع المهمة التي افادت محتوى البحث من عدة جوانب.

المبحث الأول: المعتزلة

- نشأة المعتزلة

نشأت هذه الفرقة الاسلامية في أواخر العصر الاموي، وازدهرت في عصر بني العباس[٢]، وكان لها دور كبير في تاريخ الفكر الاسلامي طيلة القرنين الثاني والثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد [٣] ذلك لأن المشاكل الدينية والسياسية والاجتماعية التي ألمت بالأمة الإسلامية.

كمصرع الخليفة عثمان بن عفان والحروب بين الامام علي بن أبي طالب–عليه السلام– ومخالفيه وظهور الفرق الدينية أفرزت مشاكل معقدة عكف المسلمون على دراستها وتقليبها وابداء الرأي فيها، والتماس الحلول لها من القرآن الكريم والسنة النبوية كل حسب اجتهاده، فتشعبت الآراء وكثرت المناظرات والجدل بين الفرق، ومنها المعتزلة [٤].

وفيما يتعلق بتحديد تاريخ ظهور حركة الاعتزال، فإن الغالبية العظمى من المؤرخين يكاد يتفقون على أنها نشأت بمفهومها العلمي الدقيق أعتباراً من بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[٥] وبالتحديد بين سنة ١٠٠– ١١٠ هـ / ٧١٩– ٧٢٩ م [٦]، كما أشار الى ذلك أحمد بن علي المقريزي [٧] إذ أنه قرر ان المعتزلة ظهروا بعد المائة الاولى من الهجرة في زمن الحسن البصري (ت ١١٠هـ/ ٧٢٩م) [٨] وكان مكان ظهورهم هو البصرة، على أثر حادثة انفصال واصل بن عطاء (ت١٣١ هـ) [٩] عن حلقة أستاذه الحسن البصري، وتلك الحادثة كما يرويها أغلب المؤرخين: "دخل واحد على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم "وعيدية الخوارج"[١٠]، وجماعة يُرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم "مرجئة الامة"[١١]، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر، ثم

٢– العربي، مختار، المعتزلة ثورة العقل، ص ٢.

٣– الغراوي، نعيم دنيان، السياسة الداخلية في عهد الخليفة العباسي المأمون، ص١٢٠.

٤– حسن، سهيلة مزبان، الحركة الفكرية في العراق (١٣٢ – ٢٤٧ هـ)، ص٣٠٤.

٥– ينظر: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج ٢، ص ٤٨٧؛ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، ص ٤٠– ٤١؛ البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق، ص ١٠٨.

٦– ينظر: المسعودي، مروج الذهب، مج ٢، ص ٤٨٧؛ المفيد، أوائل المقالات، ص٤٠ – ٤٢؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٠٨؛ جار الله، زهدي حسن، المعتزلة، ص١٢.

٧– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، ص١٨٣

٨– أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (٢١ – ١١٠هـ) تابعي كان أمام أهل البصرة، واحد الفقهاء النساك. ينظر: ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥ هـ)، الفهرست، ص٢٠٢.

٩– أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال (٨٠ – ١٣١ هـ) مولى بني ضبة، رأس المعتزلة. ينظر ترجمته: ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج٦، ص ٧.

١٠– هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –عليه السلام– في حرب صفين بعد ان كانوا معه ولم يرضوا بالتحكيم. ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت ٥٤٨ هـ)، الملل والنحل، ج ١، ص ٩٨– ٩٩.

١١– المرجئة: جماعة من المسلمين يؤخرون العمل عن النية والعقد، ويعتقدون بأنه لا تضر مع الأيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص١١٦.

قام واعتزل الى اسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلَ عنّا واصل فسمُي هو وأصحابه معتزلة"[١٢].

وهكذا كانت هذه الحادثة هي السبب المباشر لظهور فرقة المعتزلة، التي تميزت عن الفرق الاسلامية الأخرى بمبادئها وأصولها وكان لها دور فلسفي وكلامي بعيد الأثر في الحياة الفكرية في الاسلام.

ولم يكن طريق المعتزلة سهلاً ميسوراً، بل أنهم مروا بظروف قاهرة جسيمة وتقلبت عليهم احداث ضخمة، وصادفوا على مر تلك السنوات التي عاشوها ألواناً مختلفة من التعسف وضروباً متباينة من العيش فأحياناً تدبر عنهم الدنيا وتضطهدهم الدولة، واحياناً تقبل عليهم الدنيا ويلتف حولهم الناس، ويحتضنهم الحكام ويقربونهم [١٣]، لكنهم لم يشتد أزرهم ويقوى عضدهم الا في عصر بني العباس، وخاصة في عهد المأمون والمعتصم والواثق حيث تمكن المعتزلة من اثارة مسألة خلق القرآن للتنكيل بخصومهم من الفقهاء والمحدثين المعارضين لتوجهاتهم الفكرية ومنهجهم العقلي [١٤].

لكنهم تعرضوا لنكبة شديدة على يدي الخليفة المتوكل (ت ٢٤٧هـ) الذي انهى محنة خلق القرآن وناصر الفقهاء والمحدثين فسمي بـ "محيي السنة" [١٥].

- أسماء المعتزلة

ليس اسم المعتزلة هو وحده الذي أطلق على هذه الفرقة [١٦]، بل أن للمعتزلة أسماء أخرى كثيرة منها ما أطلقه مخالفوهم عليهم نكاية بهم، ومنها ما أطلقوه هم على أنفسهم، ومن هذه الأسماء:

١– أهل العدل والتوحيد:

روى المقبلي أن المعتزلة كانوا يطلقون على أنفسهم أسم أهل العدل والتوحيد [١٧]، وكانت هذه التسمية من أحب الأسماء اليهم، وسموا أنفسهم الفرقة العدلية إذ العدل أهم أصولهم الخمسة، إذ يتضمن أغلب نظرياتهم فضلاً عن أن الأصول الثلاثة الأخيرة لازمة عنه [١٨].

٢– أهل الحق:

ومن أبرز الأسماء التي سمى بها المعتزلة أنفسهم "أهل الحق" لأنهم كانوا يقولون بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وأنهم على حق وغيرهم على باطل [١٩]، فكانوا يعدون أنفسهم أهل الحق، والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة [٢٠].

١٢– الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص٤٥– ٤٦.

١٣– بلبع، عبد الحكيم، أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري، ص١٥٢– ١٥٣.

١٤– جار الله، المعتزلة، ص١٦٢؛ الحسني، هاشم معروف، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص١٦٢؛ باتون، ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة، ص١٣١ وما بعدها.

١٥– العمرجي، أحمد شوقي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، ص ٣٥، ٧٩؛ باتون، أحمد بن حنبل، ص ١٧٢– ١٧٣؛ جار الله، المعتزلة، ص١٨٣– ١٨٤.

١٦– صبحي، أحمد محمود، في علم الكلام، ج ١، ص١٠٨.

١٧– المقبلي، الشيخ صالح اليماني (ت ١١٠٨هـ)، العلم الشامخ في أيثار الحق على الآباء والمشايخ، ص ٣٠٠.

١٨– صبحي، في علم الكلام، ج ١، ص ١٠٨.

١٩– العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص ٢٤؛ جارالله، المعتزلة، ص ٦.

٢٠– السبحاني، جعفر، بحوث في الملل و النحل، ج٣، ص ١٨٤.

٣– القدرية:

يعبّر عن المعتزلة في الكتب الكلامية بالقدرية [٢١]، لقولهم بحرية الانسان أو قولهم أن قدر الانسان بيده [٢٢]، أو ربما من قولهم إن للإنسان قدراً، أي قوة، على أفعاله[٢٣]، والقدرية فرقة سبقت المعتزلة وكان من رؤسائها الأوائل معبد الجهني [٢٤]، وغيلان الدمشقي[٢٥]، ولما ظهر المعتزلة أخذوا عن القدرية قولها بنفي القدر فعلق بهم اسمها ولاسيّما وأنهم يعتبرون غيلان الدمشقي واحداً منهم حتى ان كلاً من ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) والبغدادي (ت٤٢٩ هـ) في كلامهما عن القدرية و المعتزلة لا يفرقان بينهما بل يتحدثان عنهما وكأنهما فرقة واحدة [٢٦].

٤– الوعيدية:

من أسماء المعتزلة الوعيدية، سماهم به أحد المرجئة في شعر قاله في هجاء أبي هاشم الجبائي:

يعيب القول بالإرجاء حتى ... يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوي الأرجاء جرماً ... وعيدي أصر على الكبائر[٢٧]

واسم الوعيدية آت من قول المعتزلة بالوعد و الوعيد، وهذا القول أحد الأركان التي يقوم عليها الاعتزال، ومعناه: أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده، وأنه لا يغفر الذنوب إلا من بعد التوبة [٢٨].

٥– الجهمية:

يلقب المعتزلة بالجهمية، و الجهمية [٢٩] فرقة ظهرت قبل المعتزلة وقالت بالجبر وخلق القرآن ونفت الصفات، وأنكرت الرؤية السعيدة [٣٠]، فلما قام المعتزلة بعد ذلك أخذوا عن الجهمية أقوالها في خلق القرآن، ونفي الصفات والرؤية، فأطلق عليهم أهل السنة اسم الجهمية، وصاروا يعرفون به عندهم [٣١]، وهذا اللقب منحه لهم أحمد بن حنبل، فكلما يقول: قالت الجهمية، أو يصف القائل بأنه جهمي يريد به المعتزلة لما وجد من موافقتهم الجهمية في بعض المسائل [٣٢].

٢١– م.ن، ج ٣، ص ١٨٤.

٢٢– صبحي، في علم الكلام، ج١، ص ١٠٨.

23 – Macdonald, Duncan Black, Development of Muslim theology, Jurisprudence and constitutional theory,(Lahore:unit printing press,1903), p. 128.

٢٤– معبد بن خالد الجهني، أول من تكلم في القدر، اشترك في فتنة أبن الأشعث ضد الدولة الأموية. ينظر: الجبوري، نهاد عباس، القدرية وتطورها في العصر الأموي، ص١٣٤–١٣٥.

٢٥– أبو مروان غيلان بن مسلم الدمشقي، كان مولى لعثمان بن عفان. ينظر ترجمته: أبن المرتضى، احمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ)، طبقات المعتزلة، ص ٢٥ وما بعدها.

٢٦– أبن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)، المعارف، ص٢٠٧.

٢٧– البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٦٨؛ جارالله، المعتزلة، ص ٩– ١٠.

٢٨– الخياط، عبد الرحيم بن محمد (ت بعد ٣٠٠هـ)، الانتصار و الرد على ابن الروندي الملحد، ص ١٢٦؛ السبحاني، بحوث في الملل و النحل، ج ٣، ص ١٨٥.

٢٩– عرفوا بالجهمية نسبة الى رئيسهم الأول جهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ)، وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن أحوز في أخر ملك بني أمية. أنظر: الشهرستاني، الملل و النحل، ج ١، ص ٢٧.

٣٠– الرؤية السعيدة: رؤية الله عزوجل.

٣١– جارالله، المعتزلة، ص ٨.

٣٢– السبحاني، بحوث في الملل والنحل، ج ٣، ص ١٨٦.

٦– الثنوية:

وهو قول أطلقه عليهم مخالفوهم، ولعل وجهه ما يترأى من بعضهم لقولهم الخير من الله و الشر من العبد [٣٣].

٧– النفاة أو المعطلة:

كما أطلق عليهم اسم "النفاة" و "المعطلة" وذلك لنفيهم صفات الباري وتعطيلها، ومن معاني التعطيل أيضاً، تعطيل ظواهر الكتاب و السنة عن المعاني التي تدل عليها [٣٤]، وهناك أسماء أخرى ذكرها خصومهم، مقتصرة على فرقة من فرقهم أو مشتقة من عقيدة ثانوية من عقائدهم [٣٥].

- مبادئ مذهب الاعتزال وأصوله

يقوم مذهب الاعتزال على أصول خمسة ذكرها الخياط المعتزلي بقوله:"وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي" [٣٦]، وهذه الأصول هي:

١– التوحيد

يعد هذا الاصل من أهم الأصول التي قام عليها هذا المذهب، وهم –أي المعتزلة– يعدون أنفسهم أشد الطوائف الاسلامية إيماناً بالتوحيد ودفاعاً عنه إزاء الديانات والمذاهب المشركة التي تعتقد بوجود أكثر من إله واحد وذلك من خلال مناظراتهم، وكتبهم ورسائلهم المعمقة والواسعة التي ألفوها في هذا المجال للرد على أصحاب تلك العقائد والديانات [٣٧]، وقد ذهب المعتزلة الى القول بالتوحيد في صورة بالغة القوة على وفق مبدأ التنزيه والتجريد في الفكر الاسلامي[٣٨]، وهم يقصدون بالتوحيد نفي الصفات القديمة، والدفاع عن وحدانية الله عزوجل، فقالوا بوحدة الذات والصفات، أي أن ذات الله وصفاته شيء واحد وأنكروا ان يكون لله تعالى صفات غير ذاته [٣٩]، لأن ذلك يقتضي القول–حسب رأيهم– بالتعدد، وعلى هذا الأساس فقد

٣٣– السبحاني، بحوث في الملل والنحل، ج ٣، ص ١٨٤؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، هامش ص ٢٥.

٣٤– العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص ٢٥؛ جارالله، المعتزلة، ص ١٠.

٣٥– من هذه الأسماء:

- الحرقية: لقولهم الكفار لايحرقون إلا مرة.
- المفنية: لقولهم بفناء الجنة والنار.
- الواقفية: لقولهم بالوقف في خلق القرآن.
- اللفظية: لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة.
- الواردية: لقولهم لا يدخل المؤمنون النار وإنما يردون عليها. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٤، ص ١٦٩؛ جارالله، المعتزلة، ص ٢؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص ٢٥.

٣٦– الخياط، الانتصار، ص١٢٦ – ١٢٧.

٣٧– الربيعي، فالح، أثر المعتزلة على الأدب العربي، ص ٥.

٣٨– شاخت، جوزيف وكليفورد بوزورث، تراث الاسلام، ج٢، ص ٤٨؛ عمارة، محمد، الخلافة ونشأة الأحزاب الاسلامية، ص ٢٥١.

٣٩– العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٣٢.

خالفوا العقيدة التقليدية للسلف والقائلة بقدم القرآن، فقالوا بخلقه [٤٠] لنفي وجود أي قديم سوى الذات الإلهية، ومقاومة لما كان النصارى يفشونه بين المسلمين، من القول بقدم كلام الله، أثباتاً لألوهية المسيح الذي هو كلمة الله القديمة [٤١].

كما أَوّلَ المعتزلة الآيات القرآنية التي يفيد ظاهرها بأن الله تعالى يتجسد يوم القيامة [٤٢]، ونفوا الرؤية نفي استحالة وحكموا بكفر من يقول بها [٤٣].

٢– العدل

ويأتي هذا الأصل في الدرجة الثانية من الأهمية بعد التوحيد من حيث اهتمام المعتزلة به، وتوسعهم فيه، وكتابتهم للدراسات والبحوث المستفيضة حوله، صحيح أنهم يتفقون في هذا الاصل مع سائر الفرق الإسلامية، إلا ان هناك مسائل وموضوعات كثيرة ومتشعبة طرحوها حول أصل العدل كان لها أثر كبير في مجادلاتهم ومناظراتهم [٤٤] ومن تلك المسائل مسألة القدر، وهل أن الانسان مخيّر في أفعاله ام مجبر، فقالوا "بأن الله تعالى– ليس له في أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير، لا بإيجاد ولا بنفي" [٤٥]، وأن الأنسان يمتلك الاختيار وحريّة الإرادة في أفعاله، ذلك لأن القول بأن الأنسان مجبر في أفعاله يستلزم– حسب رأيهم– نسبة الظلم إلى الله، فما كان تعالى ليحاسب ويعاقب العبد على فعل شيء أجبره على فعله[٤٦].

كما أن هذا الأصل ينطوي على بعد سياسي فالمعتزلة من خلال تأكيدها على مبدأ العدل الالهي المرتبط بحرية الارادة الانسانية ترفض فكرة الجبر التي قال بها الحكام الامويون من أجل تدعيم خلافتهم [٤٧]، وبالتالي فأن هؤلاء الحكام يكونون مسؤولين عما يرتكبون من افعال ظالمة واعمال استبدادية منتهكة لمبادئ العدل العامة، فالعدل هو من أهم الدعائم الدولة الاخلاقية في نظر المعتزلة.

٣– الوعد والوعيد

وهذا الاصل متفرع من الاصل الثاني (العدل)، وهم لا يختلفون في تفسير هذا الاصل عن سائر فرق المسلمين، سوى أنهم ينفون الشفاعة[٤٨] على اعتبار أنها تتنافى مع الوعيد، لذلك فقد أوّلوا جميع الآيات التي ظاهرها إثبات الشفاعة، وتمسكوا بالآيات التي تُفيد نفيها [٤٩]، وأما بالنسبة إلى مرتكب الكبيرة

٤٠– الاشعري، علي بن أسماعيل (ت ٣٣٠ هـ)، الإبانة عن أصول الديانة، ج ١، ص٤٢؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ٤٢.

٤١– صبحي، في علم الكلام، ج ١، ص ١٢٩ – ١٣٠؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص ٣٥.

٤٢– أمين، أحمد، ضحى الاسلام، ج ٣، ص٢٦.

٤٣– صبحي، في علم الكلام، ج ١، ص ١٢٥.

٤٤– الربيعي، أثر المعتزلة على الأدب العربي، ص ٥؛ صبحي، في علم الكلام، ج ١، ص١٤١.

٤٥– البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٩٤؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٤٣.

٤٦– مغنية، محمد جواد، فلسفات إسلامية، ص٣٦٨؛ فتاح، عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، ص ٢٦١.

٤٧– ينظر: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت٤١٥هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ٨، ص٤.

٤٨– الشفاعة: هي أن يتقدم الشفيع الى الله سبحانه ويطلب منه تخفيف العقاب والعفو عن الشخص الذي يستحق العقاب. ينظر: الجواهري، حسن، الشفاعة ومفهومها الاسلامي، ص ٧٩.

٤٩– المسعودي، مروج الذهب، م ٢، ص ٢٠٥؛ جارالله، المعتزلة، ص ٥١– ٥٢.

وحكمه الأخروي، فقد قرّوا أنه مخلّد في النار استناداً الى أصل الوعيد الإلهي، إلا أن عذابه أخف من عذاب المشرك أو الكافر نظراً إلى أنه يُعد فاسقاً من وجهة نظرهم وليس بمشرك ولا كافر [٥٠].

٤– المنزلة بين المنزلتين

هذا الاصل هو الذي ميّز المعتزلة عن غيرهم من الفرق، وهو الذي ارتبط بظهورهم ونشأتهم، إذ اتخذوا موقفاً وسطاً بين الخوارج والمرجئة، وبموجب هذا الاصل يكون صاحب الكبيرة فاسقاً، ولا يقال إنه مؤمن ولاكافر ولا منافق ولا مشرك [٥١]، وهذا المبدأ هو الذي أشتهر في التأريخ كسبب للخلاف بين الحسن البصري وواصل بن عطاء، ذلك الخلاف الذي تبلورت على أثره مدرسة المعتزلة كمدرسة مستقلة [٥٢]، كما ان هذا الأصل يعد من أكثر الاصول ارتباطاً بالفكر السياسي عند المعتزلة، وخاصة فيما يخص قضية الإمامة، فقد طبقوه وهم بصدد الاجابة عن التساؤلات التي أثيرت حول بني أمية، ولاسيما الحاكم الاموي الاول معاوية بن أبي سفيان فحكموا عليه بأنه فاسق من مرتكبي الكبائر [٥٣].

وعندما بحث المعتزلة في الإمامة اعتبروا ان الفسق، أي ارتكاب الكبيرة، مما يخرج الإمام عن الأهلية للاستمرار في منصبه ويوجب خلعه من هذا المنصب، لأنه "قد ثبت بإجماع الصحابة أن الامام يجب ان يخلع بحدث يجري مجرى الفسق، لأنه لا خلاف بين الصحابة في ذلك" [٥٤].

٥– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هذا الحكم أتفق على وجوبه جميع المسلمين، إلا أن المعتزلة افترقوا فيه عنهم في الارتفاع به من ناحية الوجوب الى مرتبة أصول الدين، ويرون وجوب استعمال السيف في تطبيق هذه الفريضة بالإضافة إلى الوسائل الأخرى [٥٥]، قال الاشعري: "وأجمعت المعتزلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة: باللسان، واليد، والسيف" [٥٦].

وهو عندهم وثيق الصلة بالسياسة [٥٧]، بل هناك من ذهب الى أنه ليس من أصول المعتزلة الخمسة، ما يمكن ان يعد مبدأ سياسياً إلا الأخير [٥٨]، فهو يعد قمة العمل السياسي الذي يوجب الثورة على أي انحراف في المجتمع عن أصول العدل والتوحيد، سواء أكان هذا الانحراف من الإمام او من الرعية [٥٩]، فهدف المعتزلة من تطبيق هذا الأصل هو "أن لا يضيع المعروف، ولا يقع المنكر" [٦٠].

٥٠– الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٤٣؛ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص٤.
٥١– القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت٤١٥ هـ)، شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٧– ١٣٨.
٥٢– عمارة، محمد، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ص ٦٥– ٦٦.
٥٣– ينظر: القاضي عبد الجبار، المغني، ج ٢، ق ٢، ص٩٣؛ محسن، نجاح، الفكر السياسي عند المعتزلة، ص ٥٧– ٥٨.
٥٤– القاضي عبد الجبار، المغني، ج ٢، ق١، ص ٢٠٣.
٥٥– أمين، ضحى الاسلام، ج٣، ص ٦٤؛ النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، ج ١، ص ٤٤٠.
٥٦– الأشعري، أبو الحسن علي بن أسماعيل (ت ٣٣٠ هـ)، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، ج ١، ص ٣١١.
٥٧– محسن، الفكر السياسي عند المعتزلة، ص ٦٤.
٥٨– الريس، ضياء الدين، النظريات السياسية الإسلامية، ص ٧٩.
٥٩– محسن، الفكر السياسي عند المعتزلة، ص ٦٤.
٦٠– القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٧٤١.

هذا المبدأ هو الذي جعلهم يضطهدون مخالفيهم ويقسون عليهم لاعتقادهم أنهم بمخالفتهم قد أتوا منكراً [٦١]، وهو الذي جعل لهم موقفاً فعالاً في الدولة، وجعل لهم سلطاناً على الناس يوم أتيح لهم ذلك [٦٢].

هذه هي الأصول الخمسة لمذهب الاعتزال وهي تمثل نسقاً متكاملاً لآراء المعتزلة ومعتقداتهم، كما أنها تعد ملجأهم وأصل مذهبهم على الرغم من اختلافهم في الفروع [٦٣]، وأن الأيمان بهذه الأصول مجتمعة قد ميز المعتزلة كمدرسة فكرية عن سواهم من المذاهب والفرق والمدارس[٦٤]، وقد تشكلت الرؤية السياسية عند المعتزلة استناداً الى هذه الأصول الخمسة لمذهبهم الفكري.

- دور المعتزلة في الدفاع عن العقيدة الاسلامية

تعد المعتزلة واحدة من أهم مدارس الفكر الكلامي التي ظهرت في الاسلام[٦٥]، كان لها دور مؤثر في تطوير الفكر الديني والفلسفي، فهي التي أوجدت للأصول العقلية للعقائد الاسلامية، وجعلت للنزعة العقلية في الفكر الاسلامي مكانة مرموقة [٦٦]، إذ كان المعتزلة رواد النظر العقلي في الاسلام [٦٧]، حيث منحوا العقل سلطة مطلقة وجعلوه حكماً في كل الشؤون دينية كانت ام دنيوية.

فالعقل عند المعتزلة هو المرجع [٦٨]، وله دور رئيسي في فهم الدين الاسلامي، لاسيما في العقائد ويقدمونه على النقل [٦٩]، ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر المعتزلة ودورهم الايجابي الفاعل في تحرير الفكر الاسلامي من حالة الجمود على النصّ، وأتباع الاساليب التقليدية في النقاش والحوار، والاكتفاء بالنصوص القرآنية والأحاديث وحدها في الرد على معارضي الفكر الاسلامي من مشكّكين، وزنادقة، وملاحدة [٧٠]، وأصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى الغريبة عن روح الدين الاسلامي ومبادئه، والذين كان المجتمع الاسلامي يعج بهم في اثناء فترة الحكم العباسي نتيجة لاختلاط المجتمع الاسلامي بعناصر عديدة من الأمم والشعوب الأخرى التي حملت معها معتقداتها، ومبادئها وأفكارها، ونشاط حركة الترجمة من تراث تلك الأمم والشعوب، ولم يكن التفكير النصوصي وحده كافياً بأساليبه التقليدية، وبنزعته الميّالة الى التهرب من

٦١- جارالله، المعتزلة، ص ٥٢- ٥٣.

٦٢- العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص ٤٥.

٦٣- الملطي، محمد بن احمد بن عبد الرحمن (ت ٣٧٧ هـ)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص٤٢.

٦٤- عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية، ص ٤٤.

٦٥- لا يمكن الجزم بأن مدرسة المعتزلة هي أول مدرسة كلامية ظهرت في الاسلام، كما يعتقد جماعة من المؤرخين والباحثين المحدثين، بل أن هناك من يعتقد بأن أول مدرسة كلامية ظهرت على ساحة الفكر الكلامي الاسلامي هي مدرسة الشيعة الامامية، فقد نشأ علم الكلام واستقرت طرقه ومناهجه عند الامامية قبل غيرهم. ينظر: الجعفري، محمد رضا، الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه، ص ١٤٦.

٦٦- فتاح، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، ص ١٠٨.

٦٧- أسماعيل، محمود، الحركات السرية في الاسلام، ص ٩١.

٦٨- عليان، شوكت، العقل في الاسلام، ص ١٠٠؛ خشيم، علي فهمي، النزعة العقلية في تفكير المعتزلة، ص٨٥.

٦٩- البراتي، عباس علي، دراسة في المنهج لعلم الكلام،، ص ٦- ٧.

٧٠- الزنادقة والملحدين: وجهان لعملة واحدة، والزندقة كلمة تطلق على كل من يبغض الدين الاسلامي الحنيف وكل ما أتصل به من عرب وعروبة، والزنديق هو من يروج افكاراً فاسدة بين المسلمين، وهو يبطن الكفر ويظهر الأيمان. ينظر: خليل، نبيل، الفرق الاسلامية فكراً وشعراً، ص ٢٢٣.

الجدل والحوار، ومن الاستعانة بالأساليب العقلية والمنطقية، والفلسفية التي دخلت المجتمع الاسلامي من الثقافات والحضارات الأخرى، في هذه المواجهة[٧١].

فالمنهج العقلي بعدِّه أحد التيارات الفكرية في التاريخ الاسلامي كان لابد من ظهوره، من أجل مجابهة التحديات الفكرية التي واجهها الاسلام [٧٢]، وتاريخياً تحرك كل من الشيعة[٧٣] والمعتزلة للنهوض بأعباء المهمة العلمية، مهمة الدفاع عن المعتقد الديني بما يناسب المرحلة، بينما ظل الآخرون ممثلو الاتجاه الأول (السلبي، التقليدي) [٧٤] في حالة شبه انغلاق، وهروب من المسؤولية، ومن رجال الشيعة والمعتزلة تركبت فئة "المتكلمين" الذين واجهوا بإصرار وجدارة حركة الإلحاد والزندقة، واشبعوا العقلية الجديدة، وحصنوا إطار العقيدة كله [٧٥]، والفارق بين المعتزلة والشيعة، أن السلطة كانت تؤيد في ذلك العهد المعتزلة وتساندهم، وأما الشيعة فكانت السلطة ضدهم وتطاردهم وتحبس أنفاسهم، كما هو معروف في التاريخ، لذلك برزت تلك واختفت هذهِ في أكثر الأدوار [٧٦]، ولا يصح بأي حال من الاحوال ان نقارن بين الشيعة وبين المعتزلة الذين عضدتهم السياسة ودعمت وجودهم ونشاطهم [٧٧].

وتذكر الكتب التاريخية روايات عديدة عن جهاد المعتزلة في الدفاع عن الاسلام وفي نشر العقيدة الاسلامية من خلال استخدام نفس السلاح الفلسفي والمنطقي الذي كان يتسلح به أعداء الدين الاسلامي في تلك الفترة من الزنادقة والملحدين، فيقول أبن المرتضى عن واصل بن عطاء انه "ليس أحد أعلم منه بكلام غالية الشيعة ومارقة الخوارج وكلام الزنادقة والدهرية[٧٨] والمرجئة وسائر المخالفين والرد عليهم" [٧٩]، ويقول الشيخ محمد زاهد الكوثري عن مدرستي البصرة وبغداد المعتزلية: "وكان لمتقدميهم فضل في الرد على النصارى واليهود والمجوس والصابئة وصنوف الزنادقة" [٨٠]، ويقول المستشرق السويدي نيبرج: "وأنا أميل الى

٧١- الربيعي، أثر المعتزلة على الأدب العربي، ص ٢- ٣.

٧٢- السائح، أحمد عبد الرحيم، التقريب بين المذاهب الاسّلامية الكلامية،، ص٤ -٥.

٧٣- كان لأئمة أهل البيت -عليهم السلام- ولشيعتهم وتلامذتهم، أمثال هشام بن الحكم ومؤمن الطاق، ومحمد بن مسلم ويونس بن عبد الرحمن، وزرارة بن أعين، وأبان بن تغلب، ومحمد بن عمر، والفضل بن شاذان وغيرهم من العشرات، جولات موفقة في الدفاع عن العقائد الاسلامية، سلكوا فيها طريقاً وسطاً بين المعتزلة والمحدثين وأنصارهم الاشاعرة. ينظر: الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص ١٢٨.

٧٤- الحنابلة وأهل الحديث.

٧٥- المظفر، محمود، مقدمة كتاب "الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد" للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، ص ٤.

٧٦- نعمة، عبد الله، هشام بن الحكم رائد الحركة الكلامية في الاسلام وأستاذ القرن الثاني في الكلام والمناظرة، ص٢٢.

٧٧- المظفر، مقدمة كتاب "الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد"، ص ١٣.

٧٨- الدهرية: طائفة من الاقدمين تذهب ال القول أن الطبيعة مستكفية بذاتها مستغنية عن خالق يوجدها، فجحدوا الصانع المدبر للعالم، وزعموا ان العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١١١.

٧٩- ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٣٠.

٨٠- فتاح، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، ص ١١٠.

القول بأنه لم يكن في التاريخ أحد نجح نجاح النظام[٨١] في أبطال كلام الثنوية [٨٢] وإسقاطهم عن مركزهم وشأنهم في الشرق الأدنى" [٨٣].

وتذهب الى هذا القول أيضاً المستشرقة الألمانية سوسنة ديفلد فلزر، إذ تقول: "ومما خدمت به المعتزلة دين الاسلام أنها جادلت الثنوية وردت مقالاتهم ووطأت لأهل السنة الطريق الى إثبات عقيدتهم عند مجادلتهم للثنوية ولغيرها من الفرق" [٨٤].

وقد ألف رجال الاعتزال أمثال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد[٨٥] والعلاف [٨٦] والنظام، كتباً في الرد على الملاحدة والزنادقة والدهرية والثنوية، لابل واشتركوا في مجادلات ونقاش عقلي مع أصحاب هذهِ المذاهب، فكان واصل بن عطاء يرسل البعثات التبشيرية الى أطراف الدولة المترامية لمجادلة أهل الأديان المختلفة وتبديد الشكوك التي كانوا يثيرونها ضد الدين الاسلامي[٨٧]، وناظر عمرو بن عبيد جرير بن حازم الأزدي[٨٨] السمني [٨٩] في البصرة وقطعه [٩٠] واشترك مع واصل بن عطاء في مناظرة بشار بن برد [٩١]، وصالح بن عبد القدوس[٩٢] وكلاهما من الثنوية فقطعهما[٩٣]، وحكى الاصفهاني [٩٤] أن عبد الكريم بن أبي العوجاء[٩٥] كان يفسد الأحداث بالبصرة، فقال له عمرو بن عبيد: قد بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسدهُ وتستزله وتدخلهُ في دينك، فإن خرجتَ من مصرنا وإلا قمتُ فيك مقاماً أتي فيه على نفسك، فلحِق بالكوفة، فدُلّ عليه محمد بن سليمان [٩٦] فقتله وصلبه بها".

٨١- ابراهيم بن سيار بن هانئ البصري أبو اسحاق النظام، مولى للزياديين، كان أحد أكبر رجالات المعتزلة، المساهمين بتأسيس مذهب الاعتزال، طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، توفي سنة ٢٢١هـ أو سنة ٢٣١هـ. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص٤٩.

٨٢- الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليّين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، وأنهما يدبران العلم، أحدهما يدبر العالم والأخر يفسده. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١١٩؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص٢٠٦.

٨٣- نيبرج، مقدمة كتاب الانتصار، ص ٥٨.

٨٤- فلزر، مقدمة كتاب طبقات المعتزلة لابن المرتضى، ص (ط).

٨٥- عمرو بن عبيد بن باب، مولى بني عقيل (٨٠- ١٤٤هـ)، كان رفيق واصل بن عطاء وتزعم المعتزلة بعد وفاته. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، م ٣، ص ٤٦٠.

٨٦- محمد بن الهذيل بن عبد الله العبدي العلاف (١٣٥- ٢٣٥ هـ)، مولى عبد القيس، شيخ المعتزلة بالبصرة. ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٤، ص ٢٦٥.

٨٧- فتاح، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، ص ١١٠.

٨٨- جَريرُ بن حازم بن زيد، من أجلَّة أهل البصرة و رُفَعَائهم، توفي سنة ١٧٠ هـ. ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٩٨ وما بعدها.

٨٩- السمنية: فرقة دهرية من الهند، نسبة الى " سومنات " بلدة بالهند، يقولون بقدم العلم، وبإبطال النظر والاستدلال. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٣٥.

٩٠- الخياط، الانتصار، ص ٥٧؛ جار الله، المعتزلة، ص ٣٩.

٩١- أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء الضرير الشاعر المشهور توفي سنة ١٦٨هـ. أنظر: الاصفهاني، علي بن الحسين القرشي (ت٣٥٦هـ)، الاغاني، ج٣، ص١٣٥ وما بعدها.

٩٢- صالح بن عبد القدوس البصري مولى الأزد، اتهمه المهدي بالزندقة وأمر بقتله فقتل وصلب سنة ١٦٧هـ -. ينظر: أبن خلكان، وفيات الأعيان، م ٢، ص ٤٩٢- ٤٩٣.

٩٣- الاصفهاني، الاغاني، ج ٣، ص ١٤٦- ١٤٧؛ جار الله، المعتزلة، ص ٣٩.

٩٤- الاصفهاني، الاغاني، ج ٣، ص ١٤٧؛ فان أس، جوزيف، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ج١، ص ٦٢١.

٩٥- عبد الكريم بن أبي العوجاء، زنديق معثر. ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ٤، ص ٣٨٦.

٩٦- محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله الهاشمي، أمير البصرة. ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٦، ص١٧٦.

ويروى أن أبا الهذيل العلاف كان من أشد رجال الاعتزال صلابة عود وقوة حجة، وكان من أكثرهم دأباً للرد على المعاندين ومناظرة المخالفين، فقد روي عنه أنه ألف ستين كتاباً يبطل فيها حججهم، ويفند أقاويلهم [٩٧]، وأنه ألزم الحجة يهودياً قدم الى البصرة فناظر طائفة من مشايخ المتكلمين فيها فقطعهم وأفحمهم [٩٨]، وشهد له صالح بن عبد القدوس الزنديق الثنوي المشهور بالبراعة وقوة الحجة حينما ناظره وقطعه، فقال في حقه:

أبا الهـذيـل جـزاك الله مـن رجـل فأنت حقاً لعمري مفصـل جَدِلَ [٩٩]

وكان أبو الهذيل كثير المناظرة لخصومه من المجوس وغيرهم فيلزمهم الحجة بأقل الكلام [١٠٠]، ويماثله في هذا الأمر شيوخ المعتزلة الاخرين، مثل النظام وثمامة بن أشرس[١٠١] وبشر بن المعتمر[١٠٢] والجاحظ [١٠٣] وغيرهم [١٠٤].

المبحث الثاني: أثر المعتزلة في الفكر السياسي في التاريخ الإسلامي والمعاصر

نشأ المعتزلة في وقت كان فيه المجتمع الاسلامي حديث العهد بالوقائع والاحداث التي حدثت بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-، مثل قضية الخلافة والامامة والبيعة، والتي كانت تمثل أهم المشاكل التي تواجه المسلمين، فكان لها أثر كبير في تشكيل الفكر السياسي عند المعتزلة، وينبغي النظر الى المعتزلة على أنها فرقة دينية أولاً، ثم سياسية ثانياً، ذلك لأن أحد أصولهم الخمسة التي لا يستحق احد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بها هو: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" يعتبر مبدأ سياسياً [١٠٥].

وهناك من يعتقد ان الخلاف السياسي حول مسألة الامامة كان له أثر كبير في نشأة المعتزلة وظهورها، لذلك برزت بعض الآراء تشير بصراحة الى ان البذور الاولى لهذه الجماعة كانت سياسية، منها ما يرويه النوبختي: " من الفرق التي افترقت بعد ولاية علي، فرقة اعتزلت مع سعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وزيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فإن هؤلاء اعتزلوا عن علي بن ابي طالب -عليه السلام-، وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم

٩٧- ينظر: ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٤٤؛ بلبع، أدب المعتزلة، ص ١٦٩- ١٧٠.

٩٨- المرتضى، علي بن الحسين (ت ٤٣٦ هـ)، أمالي المرتضى، ج١، ص ١٨٨.

٩٩- ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٤٧.

١٠٠- ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٤٤؛ بلبع، أدب المعتزلة، ص ١٧٠.

١٠١- أبو معن ثمامة بن أشرس النميري، كان أوحد دهره في العلم والأدب، جدلاً حاذقاً وشيخ المعتزلة في بغداد، توفي سنة ٢١٣هـ. ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠٧؛ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص٦٢.

١٠٢- أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي، شيخ معتزلة بغداد، توفي سنة ٢١٠ هـ. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص٥٧؛ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٥٢.

١٠٣- أبو عثمان عَمْرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، توفي سنة ٢٥٥هـ بالبصرة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، م ٣، ص ٤٧٠- ٤٧١.

١٠٤- بلبع، أدب المعتزلة، ص ١٧٠.

١٠٥- ينظر: الخياط، الانتصار، ص١٢٦- ١٢٧؛ الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ص ٧٩؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص ٨٣.

في بيعته والرضا به، فسموا المعتزلة، وصاروا أسلاف المعتزلة الى أخر الابد، وقالوا: لا يحل قتال علي ولا القتال معه، والاحنف بن قيس قالها لقومه: اعتزلوا الفتنة أصلح لكم"[١٠٦].

وهناك رواية أخرى تشير الى ان نشأت المعتزلة كانت من اتخاذها موقف الاعتزال عن الفرق السياسية المتنازعة حول الامامة، إذ اطلقت تسمية المعتزلة بعد ذلك على فئة أخرى من جماعة الامام الحسن بن علي -عليهما السلام- معاوية بن أبي سفيان وسلم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك بأنهم كانوا من أصحاب الامام علي ابن ابي طالب -عليه السلام-، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة" [١٠٧].

ويتضح مما سبق ان السبب في نشأة المعتزلة -حسب هذه الرواية- هو عدم موافقتهم الحسن بن علي -عليه السلام- على تسليم الخلافة الى معاوية بن أبي سفيان، فرأوا الاعتزال عنه وعن باقي المسلمين والانقطاع الى العلم والعبادة، وانهم كانوا ينتمون الى شيعة علي بن أبي طالب -عليه السلام- وذريته، ثم اعتزلوا عنهم.

ويربط عبد القاهر البغدادي اعتزال واصل بن عطاء وقوله بالمنزلة بين المنزلتين بحركة الخوارج السياسية في البصرة، فيقول: "فلما ظهرت فتنة الازارقة بالبصرة والاهواز، واختلف الناس عند ذلك في أصحاب الذنوب، خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة وزعم ان الفاسق في هذه الامة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلة الكفر والايمان" [١٠٨].

وعبر المعتزلة عن ارائهم السياسية في أغلب المسائل التي كانت موضع جدل ونقاش في عصرهم، فقال واصل بن عطاء في عثمان بن عفان وقاتليه وخاذليه: "أن أحد الفريقين فاسق لا محالة، وانه لا يعرف هل كان عثمان هو المخطئ أم قاتلوه وخاذلوه؟" [١٠٩]، وقال أبو الهذيل العلاف: "لا ندري قتل عثمان ظالماً او مظلوماً" [١١٠]، وكذلك في الفريقين من اصحاب الجمل واصحاب صفين، قال واصل: "أن احدهما مخطئ لا بعينه" [١١١].

واستمر رجال مدرسة الاعتزال بعد واصل بن عطاء في التعبير عن ارائهم في هذه المسألة السياسية فيقول الخياط: "لقد علمنا أنهم ليسوا بمحقين جميعاً، وجائز أن تكون احدى الفرقتين محقة والأخرى مبطلة، ولم يتبين لنا من المحق منهم ومن المبطل" [١١٢].

١٠٦- النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (ت حوالي ٣١٠هـ)، فرق الشيعة، ص ٥؛ محسن، الفكر السياسي عند المعتزلة، ص ٩.

١٠٧- الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص٤١.

١٠٨- البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٩٨.

١٠٩- الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ص ٧٩.

١١٠- الخياط، الانتصار، ص ٩٧؛ الأشعري، مقالات الاسلاميين، ج ٢، ص ١٤٣؛ جار الله، المعتزلة، ص١٩.

١١١- البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٠٠؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص٦٥؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص ٨٤.

١١٢- الانتصار، ص ٩٧- ٩٨.

ومن جهة أخرى فأن ضرار بن عمرو، وابو الهذيل العلاف، ومعمر بن عباد السلمي قالوا في شأن المتقاتلين في معركة الجمل "نعلم أن احدهما مصيب والأخر مخطئ، فنحن نتولى كل واحد من الفريقين على الانفراد" (١١٣)، وأما معاوية بن أبي سفيان فهم له مخطئون غير قائلين بإمامته (١١٤).

في حين ذهب النظام وبشر بن المعتمر الى صواب علي بن أبي طالب –عليه السلام– حروبه وخطأ من قاتله: طلحة والزبير وعائشة ومعاوية (١١٥).

بينما أعتقد القاضي عبد الجبار بأن عائشة وطلحة والزبير كانوا من المخطئين التأبين(١١٦)، وذهب الى أن معاوية بن أبي سفيان أول من أظهر القول بالجبر، ليتخذه عذراً فيما يقوم به من أفعال، ويوهم المسلمين بأنه على حق وان الله قد جعله اماماً وولاه الأمر، وانتشر ذلك بين الخلفاء الامويين (١١٧)، وقد استثنى المعتزلة من هذا الحكم السابق في ملوك بني أمية، يزيد بن الوليد الملقب بالناقص وعمر بن عبد العزيز (١١٨).

وتكلم شيوخ الاعتزال في الامامة وشروطها، فقرروا أنها تنعقد باختيار الأمة، وحجتهم في ذلك ان الله عزوجل لم ينص على رجل بعينه، ولا رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–، ولا اجتمع المسلمون على رجل بعينه (١١٩).

وكان أكثرية المعتزلة يرى "ان الامام بعد رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي –عليه السلام–، ثم من اختارته الأمة، وعقدت له ممن تخلق بأخلاقهم وسار بسيرتهم" (١٢٠).

وقد ذهب بعض شيوخ المعتزلة الى: إن افضل الناس بعد الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– أبو بكر ثم عمر، ثم علي، ثم عثمان، في حين رأى البعض الآخر منهم ان أفضل الناس بعد الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– علي ثم أبو بكر (١٢١).

والحقيقة ان المعتزلة لم يتقيدوا بشرط القرشية في الامامة، إنما اشترطوا فقط ان يكون الامام قائماً بالكتاب والسنة مؤمناً عادلاً (١٢٢)، ولكنهم يفضلون القرشي للإمامة عن غيره، يقول النوبختي: "قالت المعتزلة: إذا اجتمع قرشي ونبطي وهما قائمان بالكتاب والسنة ولينا القرشي"(١٢٣).

ويرى جمهور المعتزلة وجوب إقامة الامام (١٢٤)، ولكن بعض شيوخهم مال الى رأي النجدات من الخوارج بأن الإمامة غير واجب نصبها، ومن الذين ذهبوا الى عدم وجوب نصب الإمامة هشام بن عمر الفوطي (ت ٢٢٦ هـ)، اذ قال بأن الامامة لا تنعقد في أيام الفتنة واختلاف الناس، وانما يجوز عقدها في حال الاتفاق والسلامة (١٢٥).

١١٣– الأشعري، مقالات الاسلاميين، ج ٢، ص ١٤٥.

١١٤– الأشعري، مقالات الاسلاميين، ج ٢، ص ١٤٥؛ القاضي عبد الجبار بن أحمد (٤١٥هـ)؛ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ١٤٣.

١١٥– النوبختي، فرق الشيعة، ص ٤.

١١٦– المغني، ج ٢٠، ق٢، ص٧٨.

١١٧– القاضي عبد الجبار، المغني، ج ٨، ص ٤.

١١٨– القاضي عبد الجبار، المغني، ج ٢٠، ق٢، ص ١٥٠؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص ٨٥.

١١٩– النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٠؛ جار الله، المعتزلة، ص١٩– ٢٠؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص ٨٦.

١٢٠– القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٧٥٨.

١٢١– الأشعري، مقالات الاسلاميين، ج ٢، ص ١٤٧؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٨٦.

١٢٢– النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٠ — ١١.

١٢٣– المصدر نفسه، ص ١٠.

١٢٤– القاضي عبد الجبار، المغني، ج ٢٠، ق١، ص ٨٧ — ٩٨.

١٢٥– الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ٧٩؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٨٧

في حين مال قسم اخر من المعتزلة في قضية الامامة الى آراء الشيعة [١٢٦]، وقد مال بعض المعتزلة أيضاً الى رأي الزيدية من الشيعة القائل بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، فيقول ابن حزم: "ذهبت طوائف من الخوارج، وطوائف من المعتزلة، وطوائف من المرجئة.. وجميع الرافضة من الشيعة الى انه لا يجوز إمامة من يوجد في الناس أفضل منه، وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة، وطائفة من المرجئة، وجميع الزيدية من الشيعة، وجميع أهل السنة الى ان الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه" [١٢٧].

ومن شيوخ الاعتزال الذين جوزوا إمامة المفضول مع وجود الافضل متابعين للزيدية من الشيعة جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب [١٢٨]، واذا كان قسم من شيوخ الاعتزال قد مال الى آراء الخوارج في الامامة، وقسم ثانٍ منهم قد ذهب الى آراء الشيعة فيها، فإن قسماً ثالثاً قد ذهب في الامامة الى رأي أهل السنة ومن هؤلاء ابو علي الجبائي (ت ٢٩٥ هـ)، وابنه ابو هاشم (ت ٣٢١ هـ)، وهما زعيما معتزلة البصرة في عصرهما، وقالا: إن الإمامة تكون بالاختيار، وإن الصحابة مترتبون في الفضل ترتبهم في الإمامة [١٢٩].

وأغلب الظن ان شيوخ المعتزلة كانوا يأملون من خلفاء بني العباس خيراً بعد إسقاطهم الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩ م، لذلك كانوا يوجهون إليهم النصيحة، ومما يدل على ذلك أن عمرو بن عبيد كان يعظ الخليفة أبو جعفر المنصور قائلاً: "إن هذا الأمر الذي أصبح في يدك لو بقى في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك، فاحذر ليلة تمخض عن يوم لا ليله بعده" [١٣٠]، وكثيراً ما كان ينبهه الى جور عماله وفسادهم، فيقول: "اتق الله فإن من وراء بابك نيراناً تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله، ولا بسنة رسول الله"[١٣١].

ومن المبادئ السياسية المهمة التي كان يعتقد بها شيوخ الاعتزال أن الامام اذا جار ولم تجد معه النصيحة فإنه يجب على الناس الخروج عليه إذا توفر لهم الإمكان والقدرة [١٣٢]، وقد خرج المعتزلة مع يزيد بن الوليد (ت ١٢٦هـ) ضد الوليد بن يزيد لما ظهر فسقه وجوره[١٣٣]، وناصروا محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في خروجهما على أبي جعفر المنصور [١٣٤].

وقد كان رأي شيوخ المعتزلة في الامامة ينعقد لصالح بني العباس وحدهم، فهذه الفرقة قد اعتبرت الأمة الإسلامية في فتنة منذ مقتل عثمان بن عفان الى ان تولاها العباسيون، وبالتالي كانت في عداء مع الامويين [١٣٥].

١٢٦- الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ٦٤؛ جار الله، المعتزلة، ص٢٠٦.

١٢٧- ابن حزم الاندلسي، علي بن أحمد الظاهري (ت ٤٥٦ هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل،، ج ٤، ص ١٢٦؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٨٧.

١٢٨- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٧، ص ١٦٢- ١٦٣.

١٢٩- الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٨٩.

١٣٠- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، ج ٢، ص٣٣٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٦١؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٨٨.

١٣١- المرتضى، أمالي المرتضى، ج ١، ص١٧٤- ١٧٥.

١٣٢- الأشعري، مقالات الاسلاميين، ج ٢، ص ١٥٧؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٨٨.

١٣٣- المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٧٦- ١٧٧.

١٣٤- البلخي، أبو القاسم عبدالله بن أحمد (ت ٣١٩هـ)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة،، ص١٧.

١٣٥- النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥- ٦؛ ماجد، عبد المنعم، العصر العباسي الأول، ج١، ص ٣٦٠؛ العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٨٨.

ويرى المعتزلة ان من أهم الدعائم الاخلاقية التي تقوم عليها الدولة الإسلامية، مبدأ العدل فإن ضرورة السلطة السياسية ونصبها لا يكون إلا لتحقيق قيمة العدل [١٣٦] يقول الجاحظ "ويتظالم الناس فيما بينهم بالشره والحرص المركب في اخلاقهم فلذلك احتاجوا الى الحكام"[١٣٧]. كما ان المعتزلة من خلال أصل العدل ينكرون فكرة الجبر التي قال بها الخلفاء الامويون لتدعيم سلطتهم [١٣٨]، وأكدوا على مبدأ الشورى في الحكم وعدم الاستبداد بالرأي فالجاحظ بداية يهاجم معاوية من منطلق انه "استبد على بقية الشورى"[١٣٩]، والزمخشري يحذر من الاقامة في بلد الحاكم المستبد الظالم [١٤٠].

أما في التاريخ الحديث والمعاصر فمن الممكن القول انه لم يعد للمعتزلة أي وجود في أيامنا هذه كمدرسة دينية او مذهب اسلامي مستقل، ولكن هذا لا يعني اضمحلال الفكر المعتزلي نهائياً من عقول المسلمين، فقد ظهر بعض المفكرين العرب والمسلمين الذين لديهم ميول نحو المنهج العقلي الذي تميز به المعتزلة عندما رأوا ان الفكر الإسلامي يعاني من الجمود وبحاجة للتجديد وتحقيق النهضة الاسلامية، ولذلك ظهرت عدة محاولات للإصلاح والتنوير تقوم على أحياء فكر المعتزلة بعدِّه تيار العقل في الفكر الإسلامي في مواجهة التردي الذي تعيشه الأمة الإسلامية، وكرد فعل على تفشي ظاهرة التحجر والجمود في طروحات بعض التيارات الإسلامية المعاصرة، وفي هذا المجال نلاحظ ان تأثير الاعتزال كان واضحاً في مدرسة "المعتزلة الجديدة" التي ألفها بعض أحرار الهنود من المسلمين، يقول المستشرق جولدتسيهر: "ان اتصال المسلمين الوثيق بالمدنية الغربية، ومساهمتهم في المظاهر العصرية للحياة الاجتماعية... قد أحدثت أثراً عميقاً في الطبقات الإسلامية المستنيرة، فبذلت جهودها للدفاع عن الاسلام والاشادة به... وهي لا تتردد في ان تنزع الى تحكيم العقل، وان تجعل النزعة العقلية غالبة عليها... وقد مال اشياع الماضي المتمسكون به الى تسمية هذه الجهود بالاعتزال الجديد، وتتجلى هذه الجهود فيما ينشره المعتزلة الجدد من المؤلفات الكثيرة والابحاث والكتب والمجلات الدينية والتاريخية باللغة الانجليزية او باللغات المحلية، وفيما أسسوه من جمعيات هامة حققت ما استحدثوه في الإسلام من تجديد وإصلاح" [١٤١].

وقد رأى السيد أحمد خان [١٤٢] أن بالهند نحو سبعين مليوناً من المسلمين فشا فيهم الفقر والجهل والبؤس، من تعلم منهم فتعليم ديني عقيم لا يفتح نظراً ولا يبعث حياة، وهم خاضعون لرجال دين لا يفهمون من الدين الا رسمه، فأستطاع ان يؤسس في الهند مدرسة فكرية قامت بحركة واسعة في التعليم ولاسيما في التربية، وأصبح من أعظم القائمين بها سيد أمير علي[١٤٣]، وهذه المدرسة ترى أن الدين

١٣٦- محسن، الفكر السياسي عند المعتزلة، ص ٢٠٩.

١٣٧- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥ هـ)، رسائل الجاحظ، رسالة كتمان السر وحفظ اللسان، ج ١، ص١٦١-١٦٢.

١٣٨- القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ١٤٣.

١٣٩- الجاحظ، رسائل الجاحظ، رسالة في النابتة، ج ٢، ص ٤١٠؛ محسن، الفكر السياسي عند المعتزلة، ص ٢١١.

١٤٠- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، اطواق الذهب في المواعظ والخطب، ص ٤١- ٤٢.

١٤١- جولدتسيهر، أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٨٩- ٢٩٠.

١٤٢- السيد أحمد خان بن محمد متقي خان (١٨١٧- ١٨٩٨ م) من أكبر رجال الاصلاح الاسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، ومؤسس جامعة عليكرة بالهند. لمزيد من التفاصيل عن سيرته ينظر: العمري، محمد صلاح الدين، المنتقى من مقالات (السير) سيد أحمد خان، ص ٩- ١٨.

١٤٣- سيد أمير علي بن سعادت علي الهندي (١٨٤٩- ١٩٢٨ م)، وهو مؤرخ ومن كبار المناضلين عن الاسلام في العصر الحديث. ينظر ترجمته: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٢، ص ١٣- ١٤.

الإسلامي الصحيح هو دين العقل، وأنه أقرب من غيره الى الاديان الى الطبيعة البشرية، ولكن لابد من التجديد في الدين وفي التعليم وفي المجتمع معاً وذلك بالرجوع الى القرآن الكريم والى تعاليم السلف التي تتفق مع العقل والطبيعة [١٤٤].

من ناحية أخرى، نجد تأثير الاعتزال، وان لم يسمَّ باسم الاعتزال الجديد ماثلاً لدى عدد كبير من المفكرين، وفي طليعتهم الاستاذ الشيخ محمد عبده [١٤٥]، ولقد حاول المصلح الثائر جمال الدين الأفغاني [١٤٦] تحقيق نهضة اصلاحية شاملة في بلاد الشرق المسلم، وجعل المشاغل "الكلامية" تلتقي بأهداف الاهتمام السياسي، وقد أعجب به تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده ولكنه لم يحمل علم الاصلاح السياسي الى جانب الاصلاح الثقافي، إذ وجد ان عماد الاستقلال هو العلم، وأن لا استقلال لجاهل ولا مخرف، وآمن برسالته العلمية الدينية وتنكر للجمود في مختلف وجوهه [١٤٧]، ويرى البعض ان هؤلاء المفكرين هم امتداد لمدرسة المعتزلة الجديدة التي ظهرت في الهند، والتي ارتكزت على احياء المنهج الاعتزالي في تناول الشريعة وتحكيم العقل في الشؤون الدينية [١٤٨]، والراجح ان بعض هؤلاء المفكرين قد تأثروا بجوانب مهمة من الفكر السياسي المعتزلي الموجود ضمناً في طروحات المعتزلة الكلامية ومنهجها العقلي ولاسيما جمال الدين الافغاني الذي حاول تحقيق نهضة اصلاحية شاملة وجعل المشاغل الكلامية تلتقي بأهداف الاهتمام السياسي.

وخلاصة القول ان المعتزلة لم يعملوا على تأسيس دولة او كيان مستقل لهم كما كان ذلك بالنسبة للخوارج والشيعة، ولكنهم ساهموا بشكل كبير في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد التيارات والعقائد التي كانت تهدف الى افسادها خلال العصر العباسي، وكان لهم رأي في أغلب القضايا والمسائل السياسية المعاصرين لها، وفي نصيحة الخلفاء وتوجيه الوعظ والارشاد لهم، وبذلك ساهموا بشكل مؤثر في اثراء الفكر السياسي الإسلامي بالكثير من الافكار والآراء السياسية المستنيرة التي كانت موجودة ضمن طيات آرائهم الكلامية، والتي كان لها اثر كبير في تشكل الفكر السياسي الاسلامي وتطوره خلال العصور اللاحقة.

وعلى الرغم من أن المعتزلة لم يعد لهم وجود في القرون الحديثة، وفي الفترة المعاصرة كمدرسة دينية او مذهب اسلامي مستقل الا أنه ظهر بعض المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين الذين تأثروا بالفكر الاعتزالي وبمنهج المعتزلة العقلي، ولاريب في أنهم قد تأثروا بجوانب هامة من الفكر السياسي الذي تضمنته طروحات المعتزلة الكلامية في محاولاتهم للإصلاح والتنوير والنهوض بالواقع الاسلامي المعاصر.

ونحن اليوم وفي عصرنا الراهن بحاجة ماسة الى عقلانية المعتزلة وافكارهم المستنيرة ذات الطبيعة المنطقية والناقدة، والتي تعطي للعقل أهمية كبيرة، وتدعو الى احترام حرية الفكر وتبني رؤية موضوعية عقلانية تجاه

١٤٤- العوا، عادل، المعتزلة والفكر الحر، ص ٣٧١- ٣٧٢.

١٤٥- محمد عبده (١٨٤٩- ١٩٠٥ م) وهو عالم دين وفقيه ومجدد اسلامي مصري. لمزيد من التفاصيل عن سيرته ينظر: الاعرجي، مؤيد باقر، الامام محمد عبده دراسة في آراءه الدينية والسياسية، ص٤٠١- ٤٠٣.

١٤٦- جمال الدين محمد بن السيد صفدر الحسيني الأفغاني (١٨٣٨- ١٨٩٧م) من أبرز اعلام الفكر الإسلامي بالنسبة للتجديد، في القرن التاسع عشر. جولدتسيهر، أجناس، "مادة جمال الدين الافغاني"، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج١٠، ص٣١٧٢- ٣١٨٠.

١٤٧- العوا، المعتزلة والفكر الحر، ص ٣٧٢.

١٤٨- العبده، محمد وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، ص ١٣٦- ١٣٧.

الدين والتوفيق بين العقل والشرع، من أجل معالجة مشاكل واقعنا الاسلامي الراهن، ومحاربة الفكر الارهابي المتطرف الذي يمثله داعش وغيره من التنظيمات الارهابية الأخرى والتصدي للغزو الثقافي الغربي.

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذا البحث ان مدرسة المعتزلة انتجت الكثير من البحوث الكلامية التي كانت ذات مضمون ديني عقائدي هدفها الدفاع عن العقيدة الإسلامية بالحجج والبراهين والادلة العقلية لكنها في جوهرها ذات طابع سياسي.

كما ان الاصول الخمسة لمدرسة الاعتزال لا تخلو من الابعاد السياسية فالمعتزلة مثلاً من خلال أصل العدل المترتبط بحرية الارادة الانسانية ترفض فكرة الجبر التي قال بها الحكام الامويون لتدعيم خلافتهم، وبالتالي فأن هؤلاء الحكام –في نظر المعتزلة– يكونون مسؤولين عما يرتكبون من افعال ظالمة واعمال استبدادية منتهكة لمبادئ العدل العامة، فالعدل هو من أهم الدعائم الدولة الاخلاقية.

ومن خلال أصل المنزلة بين المنزلتين اتخذت المعتزلة موقفاً وسطاً بين الفرق الاسلامية المختلفة في تحديد اسم وحكم مرتكب الكبيرة، كما ان أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد مبدأ سياسياً، لذلك تشكلت الرؤية السياسية عند المعتزلة استناداً الى الأصول الخمسة لمذهبهم الفكري، وخلال فترة التاريخ الحديث والمعاصر ظهر بعض المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين الذين تأثروا بالفكر الاعتزالي وبمنهج المعتزلة العقلي، كما ان البعض منهم قد تأثر بجوانب هامة من الفكر السياسي الذي تضمنته طروحات المعتزلة الكلامية في محاولاتهم للإصلاح والتنوير والنهوض بواقع الأمة الإسلامية.

المصادر والمراجع

أ – المصادر الأولية

– الأشعري، أبو الحسن علي بن أسماعيل (ت ٣٣٠ هـ).

١– الإبانة عن أصول الديانة، ط ١ (بيروت: دار ابن زيدون، د. ت).

٢– مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محيي الدين، ط١ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٩ هـ).

٣– الأصفهاني، علي بن الحسين القرشي الأموي (ت ٣٥٦ هـ)، الأغاني، ط ١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٧ هـ).

٤– البغدادي، عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح: محمد عثمان الخشت، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، د.ت).

٥– البلخي، أبو القاسم عبدالله بن أحمد (ت ٣١٩هـ)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد، (تونس: مطبعة الدار التونسية، ١٩٧٤م).

٦– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥ هـ)، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م).

٧- ابن حزم الاندلسي، علي بن أحمد الظاهري (ت ٤٥٦ هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد ابراهيم وعبد الرحمن عميرة، ط٢ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٦م).

٨- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تح: بشار عواد معروف، ط ١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ).

٩- أبن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: أحسان علي، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م).

١٠- الخياط، عبد الرحيم بن محمد (ت بعد ٣٠٠ هـ)، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تح: نيبرج، ط ٢ (بيروت: مطبعة أوراق شرقية، ١٤١٣ هـ).

- الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ).

١١- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ط٣(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ).

١٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: شعيب الأرنؤوط، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م).

١٣- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، اطواق الذهب في المواعظ والخطب، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٨١٣ م).

١٤- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ)، الملل والنحل، تحقيق: أحمد حجازي ومحمد رضوان، (المنصورة: مكتبة الأيمان، ٢٠٠٦ م).

١٥- الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، تقديم: محمود المظفر، تحقيق: جمعية منتدى النشر، (النجف: مطبعة الآداب، ١٤٠٦هـ).

- القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥ هـ).

١٦- شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين، تح: عبد الكريم عثمان، ط٣ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٦م).

١٧- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تح: فؤاد سيد، (تونس: مطبعة الدار التونسية، ١٩٧٤ م).

١٨- المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: محمود محمد قاسم، مراجعة: ابراهيم مدكور، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٣٨٢ هـ).

- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).

١٩- المعارف، تص: محمد أسماعيل، ط١ (القاهرة: المطبعة الاسلامية ١٩٣٤م).

٢٠- عيون الأخبار، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت).

٢١- المرتضى، علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ)، أمالي المرتضى، تح: محمد أبو الفضل أبراهيم، ط١(بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٤ م).

٢٢- أبن المرتضى، أحمد بن يحيى (ت٨٤٠ هـ)، طبقات المعتزلة، تقديم: سوسنة ديفلد فلزر، ط٢ (بيروت: دار المنتظر، ١٤٠٧ هـ).

٢٣- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العالمي، ١٩٩٠م).

٢٤- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣ هـ)، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، تح: فضل الله الزنجاني، ط ٣ (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٧٣م)

٢٥- المقبلي، الشيخ صالح اليماني (ت ١١٠٨ هـ)، العلم الشامخ في أيثار الحق على الآباء والمشايخ، (القاهرة: د. مط، ١٣٣١هـ).

٢٦- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (بيروت: دار صادر، ١٢٧٠هـ).

٢٧- الملطي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٣٧٧هـ)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح: محمد زاهد الكوثري، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٨ م).

٢٨- أبن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق (ت ٣٨٥ هـ)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (طهران: مطبعة مهر، ١٩٧١ م).

٢٩- النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (ت حوالي ٣١٠ هـ)، فرق الشيعة، تصحيح: هلموت ريتر، (استانبول: مطبعة الدولة، ١٩٣١م).

ب – المراجع الثانوية

١- اسماعيل، محمود، الحركات السرية في الاسلام، ط ٥ (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ١٩٩٧م).

٢- أمين، أحمد، ضحى الاسلام، ط ٧ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م).

٣- باتون، ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة، تر: عبد العزيز عبد الحق، (القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٨م).

٤- البراتي، عباس علي، دراسة في المنهج لعلم الكلام المقارن، مجلة رسالة التقريب، العدد٤، (قم: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤١٤هـ).

٥- بلبع، عبد الحكيم، أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٩م).

٦- جار الله، زهدي حسن، المعتزلة، (القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٤٧ م).

٧- الجبوري، نهاد عباس شهاب، القدرية وتطورها في العصر الأموي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (بغداد: مكتبة كلية الآداب، ٢٠٠٦ م).

٨- الجعفري، محمد رضا، الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه، مجلة تراثنا، العددان ٣٠ و٣١، مؤسسة آل البيت -عليهم السلام- لأحياء التراث، (قم: مطبعة مهر، ١٤١٣ هـ).

٩- الجواهري، حسن، الشفاعة ومفهومها الاسلامي، مجلة رسالة التقريب، العدد ٢٨، (قم: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، د. ت).

- جولدتسيهر، أجناس.

١٠- "مادة جمال الدين الافغاني"، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتاوي وآخرون، ط١ (الامارات العربية المتحدة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨م).

١١- العقيدة والشريعة في الإسلام، تر: محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق، ط ٢ (القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، د. ت).

١٢- حسن، سهيلة مزبان، الحركة الفكرية في العراق (١٣٢- ٢٤٧ هـ)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٢ م).

١٣- خشيم، علي فهمي، النزعة العقلية في تفكير المعتزلة، (بيروت: مطبعة سميا، ١٩٦٧ م).

١٤- خليل، نبيل، الفرق الاسلامية فكراً وشعراً، ط١(بيروت: دار الثقافة، ١٩٩٠م).

١٥- الربيعي، فالح، أثر المعتزلة على الأدب العربي، مجلة رسالة التقريب، العدد ١٩- ٢٠، (قم: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، د. ت).

١٦- الريس، ضياء الدين، النظريات السياسية الإسلامية، (بيروت: دار الاضواء، ١٩٨٤م).

١٧- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١٦ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٥ م).

١٨- السائح، أحمد عبد الرحيم، التقريب بين المذاهب الإسلامية الكلامية، مجلة رسالة التقريب، العدد٣ (قم: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٩٩٣م).

١٩- السبحاني، جعفر، بحوث في الملل و النحل، ط٤ (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٤ هـ).

٢٠- شاخت، جوزيف وكليفورد بوزورث، تراث الاسلام، ترجمة: حسين مؤنس وإحسان صدقي، ط٣ (الكويت: مطابع الرسالة، ١٩٩٨ م).

٢١- صبحي، أحمد محمود، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين " المعتزلة "، ط ٤ (الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨٢ م).

٢٢- العبده، محمد وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، ط١ (برمنجهام: دار الأرقم، ١٩٨٧م).

٢٣- العربي، مختار، في علم الكلام- المعتزلة ثورة العقل، مجلة الحوار المتمدن، العدد ١١٩٦، (القاهرة، ٢٠٠٥ م).

٢٤- الاعرجي، مؤيد باقر، الامام محمد عبده دراسة في آراءه الدينية والسياسية، مجلة آداب الكوفة، (جامعة الكوفة، ٢٠١١ م)، مج١، العدد٩.

٢٥- عليان، شوكت، العقل في الإسلام، مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد ٤، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨١ م).

- عمارة، محّمد.

٢٦- الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، ط ٢ (بغداد: المؤسسة العربية، ١٩٨٤ م).

٢٧- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ط ١ (بيروت: المؤسسة العربية، ١٩٧٢ م).

٢٨- العمرجي، أحمد شوقي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله من سنة (١٩٨- ٢٤٧هـ)، ط١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠ م).

٢٩- العمري، محمد صلاح الدين، المنتقى من مقالات (السير) سيد أحمد خان، ط١ (الهند: جامعة علي كره الإسلامية، ١٤٢٨هـ).

٣٠- العوا، عادل، المعتزلة والفكر الحر، ط١ (دمشق: الأهالي للطباعة، د.ت).

٣١- الغراوي، نعيم دنيان عبيد، السياسة الداخلية في عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: مكتبة كلية الآداب، ١٩٩٣م).

٣٢- فان أس، جوزيف، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، تر: سالمة صالح، ط ١ (بغداد: منشورات الجمل، ٢٠٠٨ م).

٣٣- فتاح، عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ط ١(بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٧م).

٣٤- ماجد، عبد المنعم، العصر العباسي الأول (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٣م).

٣٥- محسن، نجاح، الفكر السياسي عند المعتزلة، (القاهرة: دار المعارف، د. ت).

٣٦- مغنية، محمد جواد، فلسفات إسلامية، (بيروت: دار التعارف، ١٩٧٨م).

٣٧- النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط ٩ (القاهرة: دار المعارف، د. ت).

٣٨- نعمة، عبد الله، هشام بن الحكم رائد الحركة الكلامية في الاسلام وأستاذ القرن الثاني في الكلام والمناظرة، ط ٢ (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٨٥ م).

ثالثاً: المراجع الاجنبية

- Macdonald, Duncan Black.

39- Development of Muslim theology, Jurisprudence and constitutional theory,(Lahore:unit printing press,1903).